النِّعَم الإلهيَّةِ فِي الزَّهْراوِين ـ دراسة بلاغية تحليلية

أ.م. د. عبد القادر عبد الله فتحي الحمداني *

ملخص البحث

حَظيت البلاغة القرآنية باهتمام كبير من الدارسين والباحثين ، لأهميتها في الكشف عن أسرار الإعجاز في القرآن الكريم ، فضلاً عن بيان دلالة مفرداته ، وجماليات ألفاظه ونصوصه ، وحلاوة معانيه وعذوبته . ونِعم الله تعالى على الخلق كثيرة وهو القائل : (وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها ...) (النحل :١٨)

فالبحث جاء هنا للتذكير بالنِعَم الإلهية حتى نكون من الشاكرين ، ولا شكَّ في أنّ الآيات التي تتضمن ذكر النِعَم كثيرة لكننا حاولنا تقسيم مادة البحث على قسمين ، الأول : النعم الخاصة ، ويتضمن أربعة مطالب ، أولها : النِعَم الإلهية على آدم (عليه السلام) ، والثاني : النِعَم الإلهية على الأنبياء والرسل (عليهم السلام) ، والثالث: النِعَم الإلهية على مريم (عليها السلام) ، والرابع : النِعَم الإلهية على بني إسرائيل. أمّا القسم الثاني فهو : النِعَم العامة ، وفيه أربعة مطالب أيضاً ، الأول : نِعْمَة الخلق والتسخير، والثاني : نعمة الحكمة ، والثالث : نعمة النصر ، والرابع : نعمة الصبر. ثم جعلنا أهم النتائج في الخاتمة .

وقد اعتمد البحث منهج التحليل البلاغي القائم على دراسة خصائص النِعَم الإلهية وأنواعها ، معتمدين الانتقاء لأماثيل التحليل . وقد اعتمد البحث على مصادر كثيرة ، أولها المدونات التفسيرية ، وكتب البلاغة واللغة والنحو وغيرها .

ABSTRACT

The raetorical Quranic Verse has agreat for the researchers for investigating and knowing the myskries of the Quranic miracle Value , in addition . it shows the hidden meanings in the beauty of the scripts and its Sayings as wll and the beauty of its meanings . Sothe graces of god for

* المديرية العامة للتربية في محافظة نينوى / معهد الفنون الجميلة للبنات .

mankind are great , He says " If you count the graces of god , you caunt them '

The research shows something very important , it shows and reminds mankind of the graces of god , So we could be thankful to them , No doubt , the Quranic , Verses Uhich show the graces of god are great , but we tried to clivide this reseatch in to two Parts , the first Part shows the private graces uhich shows four demands , the first one , the graces of god granted to Adem (Peace be upon him) . The Second the graces of god to prophets and messengers , The third one shows the graces of God to Virgin Mary , Whereas the last one shows the graces of God to Isral ites

The second Part shows the general graces uhich includes also Four demands . The First demand shows the graces of god increating mankind , the Secons one the graces of wisdom , and the third grace shows the grace of triumph , whreas the fonrth one includes the grace of Patience and it is followed by the most important findings in the conclusion

The researeh depends on the rhetorical analysis uhich is based on the main chaeacteristics of the graces of god and its kinds , We depend in this on the selection the analytical examples

Finally , the research depends mainly on some sourles , among them the books of rhetorics and jome linguistic books and Grammar and the like

المقدمة

الحمدُ لله ، والصلاةُ والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومَنْ والاهُ ، وبعد :

فقد أخذ الدرس البلاغي مجالاً واسعاً بين علوم العربية ومجالاتها المتعددة ، وذلك لِما له من أثر كبير وعلاقة واسعة بالتعبير القرآني ، لذلك يأتي هذا البحث إسهامةً جادّة في ميدان التحليل البلاغي لنصوصٍ من القرآن الكريم ، وهي نصوص مُنتقاة مما تضمنتاه (الزهراوين) من النعم الإلهية ، وما نوردهُ هنا يُعَدُّ تذكيراً يُفضي بنا إلى الشُكر ، لأنَّ الشكر من أعظم ما يتمثّل به طاعة الله تعالى ، فدوام النعم واستزادتها يتوقف على شكر المُنعِمْ. وقد جاء البحث مقسماً على مبحثين : الأول : النعم الخاصة ، وقد اقتسمتهُ أربعة مطالب : أولها : النعم الإلهية على آدم (عليه السلام) ، والثاني : النعم الإلهية على الرسل والأنبياء، والثالث : النعم الإلهية على مريم (عليها السلام) ، والرابع : النعم

الإلهية على بني إسرائيل . أما المبحث الثاني : فكان للنعم العامة ، وفيه أربعة مطالب أيضاً ، أولها : نعمة الخلق والتسخير ، والثاني : نعمة الحكمة ، والثالث : نعمة النصر ، والرابع : نعمة الصبر . وأعقبنا ذلك بخاتمة تضمنت أهم النتائج .

وقد اعتمد البحث منهج التحليل البلاغي للآيات القائم على دراسة خصائص النعم الإلهية وأنواعها ، ولمّا كان من المتعذر تحليل جميع الآيات التي تحتوي على النعم الإلهية ، فقد اعتمد البحث مبدأ الانتقاء ، وذلك باتباع منهج قائم على انتقاء أماثيل للتحليل باختيار آيات النعم التي تتضمن فنوناً بلاغية كثيرةً ومتنوعة . أما مصادر البحث فقد توزعت بين مدوّنات التفسير والبلاغة واللغة والنحو ومنها : التحرير والتنوير لابن عاشور ، والجدول في إعراب القرآن لمحمود صافي ، وغيرها من التراث التفسيري والبلاغي واللغوي التي كان لها الأثر الواضح في هذا البحث .

المبحث الأول : النِّعَمْ الخاصة

المطلب الأول : النِّعَمْ الإلهية على آدم (عليه السلام)

يعرض الخطاب القرآني آياتٍ عديدة تشمل نعماً عظيمةً على سيدنا آدم (عليه السلام) ، تبدأ بجعله خليفةً في الأرض ، قال تعالى : (وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك قال أني اعلم ما لا تعلمون) [1] .

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى قصة خلق السموات والأرض عطف عليها قصة خلق أول البشر ، والسبب في هذا الانتقال أنه سبحانه وتعالى لمّا ذكرَ خلقَ ما في الأرض لأجل الناس تهيّأتْ أنفسهم لسماع قصة إيجاد منشأ الناس الذين خُلِقت الأرض لأجلهم ليُحاط في ذلك من دلائل القدرة مع عظيم المِنّة وهي منّةُ الخلقُ التي نشأت عنها فضائل جمَّة ، فكان خلق أصلنا هو أبدع مظاهر إحيائنا الذي هو الأصل في خلق ما في الأرض لنا ، فكانت المناسبة في الانتقال إلى التذكير به واضحة مع (حُسن التخلص) إلى ذكر خبره العجيب ، فإيراد واو العطف هنا لأجل إظهار استقلال هذه القصة في حدِّ ذاتها وعظيم شأنها [2] ، وفيه إيحاءٌ على استقلال النعمة لِما لها من ميزة خاصة والخطاب هنا جاء بالصيغة الخبرية الماضوية غير المؤكدة ، والغرض من الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل هو الدلالة

على تحقق إيجاد الفعل الذي لم يوجد بعد [٣] ، وقد ورد الخطاب بالجملة الفعلية لأنها تُشعر بالحدوث والانقضاء [٤] فضلاً عن أنَّ الخطاب في قوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة) ورد بأسلوب الالتفات بالانتقال من ضمير الجمع إلى ضمير المفرد ، وفيه إشارة إلى عظمة النعمة وفضلها ، وأنها من أجل النعم لِما فيها إيجاد من العدم وفي إضافة (ربك) إلى الرسول (ﷺ) تشريف وتكريم لمقامه ، وفيه دلالة على عظمة الأمر الذي سيُخبر عنه ، ففيه إبرازٌ لأهمية النعمة وعظمتها .

وإسناد حكاية هذا القول إلى الله تعالى بلفظ الرَّب لأنه قولٌ مُنْبِئٌ عن تدبيرٍ عظيمٍ في جعل الخليفة في الأرض ، ففي ذلك الجعل نعمة تدبير مشوب بلطفٍ وصلاحٍ وذلك من معاني الربوبية ، ولمّا كانت هذه النعمة شاملة لجميع النوع أُضيفَ وصف الرَّب إلى ضمير أشرف أفراد النوع وهو النبي محمد (ﷺ) مع تكريمه بشرف حضور المخاطبة [٥] .

وقوله : (إني جاعل في الأرض خليفة) لتوكيد جملة مقول القول ولتوكيد الفعل الذي تتضمنه الجملة ، وأنّهُ لابُدّ منه وأنه واقعٌ لا محالة ، وإسناد الجعل إليه تعالى يفيد التعظيم ممّا يدل على عظيم هذه النعمة ، وزاد ذلك بذكر الأمر بالصيغة الاسمية (جاعل) ولم يذكره بالصيغة الفعلية مما يدلُّ على الثبوت[٢] ، وأنَّ هذا الجعل من شدّة توكيده وثبوته فهو كالأمر الحاصل المنتهي لا جِدال فيه .

وتقديم (في الأرض) عل (خليفة) يفيد التخصيص والتكريم ، فقد خُصِّصت الأرض وما فيها لآدم وذريته وكرّمهم الله بها وبنعمها ، و خصّص الأرض وكرّمها بآدم وذريته ليعمّروها ويكونوا خليفة فيها . وتنكير (خليفة) يفيد التنويع فليس كل ذرية آدم من نمطٍ واحد ينتمي للخير أو الشر أو الإعمار أو الخراب ، وإنّما هم متنوعون مختلفون ، وقد يفيد التنكير التعظيم وهو ما يتناسب مع مقام التكريم بالجعل .

والاستفهام الوارد في قوله : (أتجعل فيها من يفسد فيها ...) هو استكشافٌ عن الحكمة الخفية وعمّا يزيل الشبهة وليس استفهاماً عن الجعل نفسه والاستخلاف ، لأنهم قد علموه قبل " وقيل هو

للاسترشاد أي أتجعل فيها من يُفسد كما كان فيها من قبل " [٣] ، فالمسؤول عنه هو الجعل ولكن لا باعتبار ذاته بل باعتبار حكمته ومزيل شبهته ، أو تعجّب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها مَنْ يُفسد فيها [٤] ، وقيل معنى الاستفهام الإيجاب ، أي انك ستفعل [٥] .

وقد يكون الاستفهام هنا محمولاً على حقيقته متضمّناً معنى التعجب والاستبعاد من أن تتعلق الحكمة بذلك فدلالة الاستفهام على ذلك هنا بطريق (الكناية) مع تطلّب ما يزيل إنكارهم واستبعادهم ، فلذلك تعين بقاء الاستفهام على حقيقته خلافاً لمن توهّم الاستفهام هنا لمجرّد التعجب [٦] ، وهذا تخصيصٌ بعد تعميم لبيان شدّة مفسدة القتل ، وهذا بحسب ظنهم أنّ الخليفة المجعول في الأرض أنه سيحدث منه ذلك [٧] . وتكرار الظرف (فيها) هنا للدلالة على الإفراط في الفساد ولم يكرره بعد للاكتفاء مع ما في التكرار مما لا يخفى [٨] .

وأوثر التعبير بالفعل المضارع في قوله : (يفسد) و (ويسفك) ، لأنَّ المضارع يدل على التجدد والحدوث دون الدوام ، أي من يحصل منه الفساد تارةً وسفك الدماء تارة لأنَّ الفساد والسفك ليسا بمستمرين من البشر [٩] . والسفك والإراقة لا يُستعملان إلاّ في الدم وفي الدمع ، والعطف هنا عطف الخاص على العام للإشارة إلى عِظَمْ هذه المعصية ، لأنَّ بها تتلاشى الهياكل الجسمانية [١٠] .

وأوثرت الجملة الإسمية (ونحن نسبح) لإفادة الدلالة على الدوام والثبات ، أي هو وصفهم الملازم لجبلتهم ، وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي (للتخصيص) بحاصل ما دلّت عليه الجملة الإسمية من الدوام ، أي نحن الدائمون على التسبيح والتقديس دون هذا المخلوق ، والتقديس التنزيه والتطهير وهو إمّا بالفعل وإمّا بالاعتقاد وهو يتعدى بنفسه ، فالإتيان باللام مع مفعوله في الآية لإفادة تأكيد حصول الفعل والتخصيص [١١] .

وفي قوله (أني اعلم ما لا تعلمون) جواب لكلامهم فهو جارٍ على أسلوب المقاولة في المحاورات ، أي : أعلم ما في البشر من صفات الصلاح ومن صفات الفساد [١٢] ، وهنا طِباق بيّن وهو طباق سلب ، فالإثبات والنفي في العلم هو المحور الأساسي فيه ، ولعلّ في ذلك إيماءٌ إلى أنَّ العلم الإلهي هو

العلم الأزلي السرمدي الباقي ، وأنَّ علم البشر زائلٌ بفنائهم وزوالهم ، يتّضح ذلك في الأطراف المتضادة ما بين إثبات علم الله ونفي علم غيره (١٣) .

وفي قوله : (أعلم – تعلمون) جناس الاشتقاق أيضاً ، والجناس غير تام لاختلاف عدد وترتيب الحروف ، وفي إدماج الطباق بالجناس إبرازٌ لمكانة علم الله بين مخلوقاته .

فالنعمة الإلهية هنا تتجلى باختيار الله تعالى آدم (عليه السلام) ليتسلم زمام الخلافة في الأرض ، وهذا يُعدّ من أَجَلْ النعم الإلهية على آدم (عليه السلام) وعلى ذريته من بعده ، وذلك بإيجاده إلى الوجود من العدم وجعله أول خليفة في الأرض .

المطلب الثاني : النِّعَمْ الإلهية على الأنبياء والرسل (عليهم السلام) :

أنعم الله تعالى على أنبيائه ورسله ممّن اصطفاهم لحمل رسالته نِعَماً كثيرة ، ورابطة الاصطفاء بين هؤلاء الأنبياء والرسل المقصود منها رابطة العقيدة والدين ، وقد بيّن الله تعالى أنّ عبوديته ومحبته لا تتم إلاّ بإتباع الأنبياء والرسل ، وفي هذا بيان لعلو درجاتهم .

نختار هنا نعمة أنعمها الله على خاتم الأنبياء والرسل ، وهي إنزال القرآن الكريم لِما في ذلك من إظهار عظمة النبي(ﷺ) وعلو شأنه بين الأنبياء والرسل، قال تعالى : (نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل * من قبل هدى للناس وانزل الفرقان) (١٤) .

الخطاب هنا موجّه إلى النبي محمد (ﷺ) ، والخطاب بالجملة الخبرية غير المؤكّدة الماضوية ، و (الكتاب) هو القرآن ، عبّر عنه باسم الجنس إيذاناً بكمال تفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمالات الجنس كأنه هو الحقيق بأن يُطلقَ عليه اسم الكتاب دون ما عداهُ كما يُلوح به التصريح باسمي التوراة والإنجيل ، وصيغة التفعيل للدلالة على التفخيم ، " وفي الإتيان بالظرف وتقديمه على المفعول الصريح واختيار ضمير الخطاب إيثار على مالا يخفى من تعظيمه(ﷺ) والتنويه برفعة شأنه عليه الصلاة والسلام " (١٥)، ففي هذا التقديم اعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخَّر، والجملة خبرٌ عن الاسم الجليل (١٦).

والخبر هنا مستعملٌ للامتنان ، وهو تعريض ونكاية بأهل الكتاب الذين أنكروا ذلك ، وجيء بالمسند فعلاً لإفادة تقوية الخبر ، أو للدلالة مع ذلك على (الاختصاص) ، أي أنّ الله تعالى لا غيره نزّل عليك الكتاب إبطالاً لقول المشركين إنَّ القرآن من كلام الشيطان ، أو من طرائق الكهانة، أو يُعلِّمه بشر[١٧] ، فضلاً عن أنَّ تعريف(الكتاب) أفاد التفخيم والتعظيم . فهنا تتجلى خصوصية النعمة الإلهية في تقديم الظرف (عليك)الجار والمجرور على المفعول الصريح (الكتاب) لِما فيه إشارة إلى عظمة الرسول الأعظم وعلوّ شأنه بين الأنبياء ، فضلاً عمّا أفاده هذا التقديم من الاختصاص . والباء في قوله (بالحق) للملابسة ، ومعنى ملابسته للحق اشتماله عليه في جميع ما يشتمل عليه من المعاني[١٨] ، وفي تقديم الجار والمجرور (بالحق) على التصديق فيه إيحاءٌ إلى عظمة القرآن وعلوّ شأنه بين الكتب السماوية ، ومعنى (مصدقا لما بين يديه) أي أنه مصدق للكتب السابقة له [١٩] ، وفي قوله : (لما بين يديه) كنايةً عمّا تقدمه من الكتب السماوية ، وعبّر عنه بذلك لصلته الوثيقة بها ولظهوره واشتهاره [٢٠] ، وفيه مجاز أيضاً والمُراد به أمامه ، وهو مجاز عقلي علاقته المكانية [٢١] . وقوله : (لما بين يديه) مفعول لمصدقاً واللام دِعامةٌ لتقوية العمل ، أي : مُصدقاً لِما قبله من الكتب ، وفيه إيماءٌ إلى حضورها وكمال ظهور أمرها بين الناس ، وتصديقه إياها في الدعوة إلى الإيمان والتوحيد وتنزيه الله عمّا لا يليق به ، والأمر بالعدل والإحسان ، وكذا في أنباء الأنبياء والأمم الخالية ، وكذا في نزوله على النعت المذكور فيها ، وكذا في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأمم ظاهرٌ لا ريب فيه ، أي خبر تصديقه لا ريب فيه [٢٢] .

وفي الآية جناس الاشتقاق المماثل بين(نزّل – وانزل) ، وأوثر التعبير في الخطاب القرآني في هذا الموضع بقوله (نزل) والتوراة والإنجيل بـ (أنزل) وذلك لأنَّ (نزّل) يقتضي التكرار لأجل التضعيف ، وفيه إشارة إلى تفصيل المنزّل وتنجيمه ، أمّا (أنزل) فلا يُعطي إعطاء (نزّل)[٢٣] ، وتقديم (من قبل) على (هدى للناس) للاهتمام به ، وأما ذكر هذا القيد فَلِكي لا يتوهّم أنّ هدى التوراة والإنجيل مستمر بعد نزول القرآن ، وفيه إشارة إلى أنها كالمقدمات لنزول القرآن . وقد وُصِفَ القرآن في أوّل

سورة البقرة بأنه (هدى للمتقين) ، ولم يصفه هنا بالهدى ، والسبب أنه ذكر في سورة البقرة أنهم هم المنتفعون به ، فصار من الوجه هدىً لهم لا لغيرهم، أمّا هنا فالمناظرة كانت مع النصارى، وهم لا يهتدون بالقرآن فلا جرم أنه لم يقل إنه هدى ، بل قال أنه حق في نفسه سواء قبلوه أم لم يقبلوه [٢٤] .

وقوله : (وأنزل الفرقان) أي القرآن الكريم الذي يفرق بين الحق والباطل أو هو سائر ما يفرق بينهما ، وهذا في باب عطف الخاص على العام لإفادة الشمول مع العناية بالخاص تنويهاً لشأنه [٢٥] ، وفي الآية تقديم وتأخير تقديرها وأنزل التوراة والإنجيل والفرقان هدىً للناس [٢٦] ، ففي إدماج العطف مع التقديم والتأخير إيماءٌ إلى عظمة ما نزل على الرسول (ﷺ) .

والفرقان هو القرآن ، وفي وصفه بذلك تفضيل لهديه على هدى التوراة والإنجيل ، لأنَّ التفرقة بين الحق والباطل أعظم أحوال الهدي، لِما فيها من البرهان وإزالة الشبهة ، وإعادة قوله : (وأنزل الفرقان) بعد قوله : (نزل عليك الكتاب بالحق) [٢٧] للاهتمام [٢٨] ، وللتأكيد على أهمية القرآن وعظمة هُداهُ ، وفيه نعمة بحق من نَزَلَ عليه .

ولما كانت مادة (فرق) للفصل ، عبَّر بالإنزال الذي لا يدل على التدريج لِما تقدم من إرادة الترجمة بالإجمال والتفصيل على غاية الإيجاز لاقتضاء الإعجاز ، وجمع الكتابين في إنزالٍ واحد واستجدَّ لكتابنا إنزالاً تنبيهاً على علوْ رتبته عنهما [٢٩] .

المطلب الثالث : النِّعَمْ الإلهية على مريم (عليها السلام) :

خَصَّ الله تعالى مريم (عليها السلام) بنعمٍ وكرامات ونفحات كثيرة ، فاختارها رمزاً لسمو الأخلاق والصفات ، وطهّرها من الأكدار والعيوب ، ، وفضّلها على نساء العالمين في زمانها .

يقول الله جَلَّ وَعَلا (فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لكِ هذا قالت هو من عند الله أنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب) [٣٠] .

التقبّل هنا لكمال الرضا وهو للترقي في القبول [٣١] ، وهو القبول الذي يقتضي الرضا والإثابة ، إذ أصله أخذ الشيء على وجه الرضا ، ممّا يقتضي ثواباً كالهدية [٣٢] ، أي

" بأمر ذي قبولٍ حسن وهو الاختصاص " [٣٣] ، وممّا زاد الأمر إثباتاً في هذا القبول هو اقترانه بلفظة (حسن) [٣٤] ، فجاء دعماً قوياً لعملية التقبل عند الباري (ﷻ) .

وقوله : (فتقبلها) فيه تشريفٌ بها وهو نعمةٌ أيضاً ، وإنما عدل عن الظاهر للإيذان بمقارنة التقبّل لكمال الرضا وموافقته للعناية الذاتية ، فصيغة التفعّل مُشعرةٌ بحسب أصل الوضع بالتكليف ، وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وإن كان المراد بها في حقِّهِ تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثرته [٣٥] ، والتقبل هنا يفيد المبالغة في إظهار القبول ، وهي تدل من حيث الاستعارة على حصول العناية العظيمة في تربيتها ، وفيه أيضاً تشبيه النذر بالهدية ، وفي التصريح بالتقبّل إيحاءٌ بنعمة لطيفة وهي الاهتمام بشأنها وعلو مكانتها ، والتضعيف أوحى بأنها في محل العناية الإلهية ، وهذه النعمة مع سابقتها لم تكن لقبلها من النساء فهي نعمة خاصة .

ومعنى (وأنبتها نباتا حسن) : أنشأها إنشاءً صالحاً ، وذلك في الخُلق ونزاهة الباطن ، فشبَّه إنشاءها وشبابها ، بإنبات النبات الغض على سبيل الاستعارة ، والتشبيه هنا في نموها تشبيه بالزرع الذي ينمو شيئاً فشيئاً ، فهو استعارة مكنية لتربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها ، وقد يكون (الإنبات) مجازاً مرسلاً بعلاقة اللزوم فإنّ الزارع يتعهد زرعه بسقيه عند الاحتياج وحمايته من الآفات [٣٦] . وفيه احتباك متناظر أيضاً ، حيث نرى أن (وأنبتها) مصدره (إنباتاً) ، و (نباتا) فعله (نبت) فجيء بالآية بواحدة من هاتين على سبيل الاحتباك فحذف من الأول المصدر ومن الثاني الفعل ، اكتفاءً بما ذُكر في الأخرى [٣٧] . وفي تواشج الاحتباك مع ما سبقه من الاستعارة والمجاز إيحاءٌ بديمومة النعمة واستمرارها وكأنَّ النبات ينتقل في نموه من مرحلة إلى أخرى ، وسواء كان معنى (النبات الحسن) كمال النشوء أو ترك الخطايا ، فإنَّ المعنى يُشير إلى نعمةٍ عظيمةٍ رُزقت بها مريم . عليها السلام . .

والكفالة هي الضمان ، وفيه استعارة بمعنى الضمّ والأخذ [٣٨] ، وفي تقديم الظرف (كلما) على الفاعل لإظهار كمال العناية بأمرها وتكراره ، وقُدِّمَ (عليها) على زكريا لأنَّ " الكلام في الآية عن مريم وليس في زكريا ولا في المحراب " [٣٩] ، ودلالة التعريف في (المحراب) تشير إلى تعريف الجنس ، أمّا دلالة التنكير في (رزقا) فهي إفادة الشيوع والكثرة وأنه ليس من جنس واحد .

وفي جواب الاستفهام (هومن عند الله) اعتراف بالنعمة العظيمة والفضل الكبير ، مع الاعتراف بعظمة الرّزاق الكريم .

ويتواشج في الآية الجناس المغاير بين الألفاظ ليرسم صورة رائعة في نظمه وإيمائه وذلك بين كلٍّ من فتقبلها – بقبولٍ) و (وأنبتها – نباتاً) و (رزقها – رزقاً) فكلٌّ لفظة متجانسة مع الأخرى في إيحائها ووقعها الصوتي " فعلاقة الجرس بحقيقة الجمال لا تتركز في حسن الصوت فحسب ، وإنما فيما يثيره هذا الصوت المسموع من انفعالٍ ذاتي للإنسان، لأنَّ أثر الكلمة الملفوظة لا يتحدد في إثارة حاسة السمع ، وإنّما في إثارة الجوانب الروحية الكامنة في ذات الإنسان " [٤٠] .

المطلب الرابع : النِّعَمْ الإلهية على بني إسرائيل (*)

تفضّل الله تعالى بنعمه وآلائه على بني إسرائيل فكانوا أوفر الناس نعمةً ، ولكنهم أكثر كفراً وتقصيراً في شُكر المُنعِم ، إذ منحهم الله تعالى نعماً لم تنلها أمةٌ من الأمم . من ذلك ما ورد في قوله تعالى : (وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) [٤١] .

هي نعمة أخرى بها كان تمام الإنجاء من آل فرعون ، وفيها بيان مقدار إكرام الله تعالى لهم ومعجزة لموسى (عليه السلام) ، ففي عطف الآية على سابقتها فيها إشارة إلى تسلسل النعم الإلهية وتعددها ، و (إذ) في موضع نصب ، و (الفرق) هو الفصل والتمييز بين الشيئين ، وقوله (بكم) كأنه فرّق بهم كما يُفرق بين الشيئين بما توسط بينهما [٤٢] . والباء للسببية، وفي ذلك تلويح إلى أنَّ الفرق كان من أجل سلوككم ، وبذلك يكون هناك (استعارة تبعية) بأن يُشبه سلوكهم بالآلة في كونه واسطة في حصول الفرق من الله تعالى [٤٣] ، فالاستعارة رسمت صورة النعمة في إطار نَظُم الآية الكريمة . وفي فرق البحر بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها ، وقد بيَّنَ في تضاعيف ذلك نعمة جليلة هي الإنجاء من الغرق ، والعطف بفاء التعقيب في (فأنجيناكم) دلالة على أنَّ عملية النجاة كانت مباشرة من فوق البحر ، وقوله : (فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون) هو محل المنّة وذكر النعمة وهو نجاتهم من الهلاك وهلاك عدوهم ، وفي عطف (أغرقنا) على (أنجيناكم) تبرز نعمتان في آنٍ واحد ، الأولى نعمة النجاة ، والثانية هلاك العدو ، وقوله (وانتم تنظرون) جملة حالية والمفعول

محذوف وفائدته تقرير النعمة عليهم ، أو تتميمها كونهم مستأنسين ينظر بعضهم إلى بعض [٤٤] ، وقد أشار الإمام الرازي إلى أنَّ واقعة فلق البحر تضمنّت نعماً كثيرةً على بني إسرائيل في الدين والدنيا [٤٥]، ولا يخفى ما في الآية من طباق بين (انجينا – وأغرقنا) والجناس غير التام بين (فرقنا – أغرقنا) ، وفيها تفصيلٌ بعد إجمال فبعد أن بيّن الفرق فصَّله في إنجائهم وإغراق آل فرعون

المبحث الثاني : النِّعَـمْ الْعامّـة

المطلب الأول : نعمة الخلق والتسخير

إنَّ أول نعمة تفضل الله بها على البشرية هي نعمة خلقهم ، ثم نعمة خلق السموات والأرض والشمس والقمر وغيرها وتسخير ما فيها لأجل الإنسان ، ونختار هنا قوله تعالى (الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وانت تعلمون) [٤٦] .

لمّا قدّم تعالى نعمة خلقهم أتبعه بنعمة جعل الأرض فراشاً لهم ، ونعمة جعل السماء كالقبة المضروبة عليهم [٤٧] ، ففي هذا إثبات لنعمة التسخير وعظمتها ، وابتداء الآية باسم الموصول أفاد تعظيم المُنعم (ﷻ) ، ومعنى جعل الأرض فراشاً أي من حيث التمكن من الاستقرار والاضطجاع عليها ، وقد جاء ذلك على سبيل التشبيه البليغ ، وحذف (لكم) عند ذكر السماء إيجازاً ، وقدَّم (الأرض) على (السماء) للاستدلال بالانتفاع مما هو محسوس وقريب ، ولأنَّ احتياجهم إليها وانتفاعهم بها أكثر وأظهر ، وهو تشبيه بليغ أيضاً ، فالتشبيه في القرآن وسيلة لإيضاح طُرُق الهداية بإثارة المقارنة والحث على التأمل لتقوَّم النفوس الطيّعة النقية بوعدها بالثواب ، والعنيدة العصّيّة بوعيدها بالعذاب .

والبناء في الأصل مصدر ، والوصف بالمصدر أكثر مبالغةً من الوصف بالصفة ، لأنَّ الوصف بالمصدر يُنبئ عن الموصوف بأنه من الفعل الذي وُصِفَ به [٤٨] .

وبعد أن ذكر نعمة الإيجاد ونعمة الفراش والمهاد ، ونعمة السماء كالبناء ، ذكر نعمة الإمداد التي تُحفظ بها هذه الأجساد وهي مادة الغذاء التي بها النمو والبقاء (وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) فالماء سبب للخروج ، فالباء للسببية و (من) للتبعيض إذ جاءت بين نكرتين (ماءً) و (رزقاً) أي بعض الماء وبعض الرزق والتعريف في(الثمرات) للجنس والاستغراق ، وأتى بجمع القلّة (الثمرات) في موضع الكثرة (الثمار) فكان المناسب لذلك للإيماء أنَّ ما برز في رياض الوجود كالقليل بالنسبة لثمار الجنة ، واللام في (لكم) للمُلك ، وهو تكريم بهذه النعمة ، والتنكير في (رزقاً) لتفخيم النعمة وللتنويع والتكثير .

المطلب الثاني : نعمة الحكمة :

الحكمة نعمة عظيمة تجعل الإنسان يُميّز بين الحق والباطل ، ومن أوتي الحكمة كان على هداية تامة ونور مبين ، وقد وردت في آيات كثيرة منها قوله تعالى:(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) [٤٩] .

الكاف هنا في بداية الآية للتعليل ، أي لأجل أرسالنا فيكم ، أي كما أرسلنا فيكم رسولاً يعلمكم ، ومنحتكم هذه النعمة فاذكروني بالشكر عليها أذكركم برحمتي وثوابي [٥٠] ، ومن الكاف يُستفاد التشبيه ، لأنَّ المتقابلين متشابهان ، وجعل الإرسال مُشبّهاً به لأنه أسبق وأظهر تحقيقاً للمشبه ، أي أنّ المبادئ دلّت على الغايات ، ونُكِّرَ (رسولا) للتعظيم ولتجري عليه الصفات التي كل واحدة منها نعمة خاصة ، وإيثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيه إشارةً إلى عظمة النعمة الممنوحة .

وفي قوله (كما أرسلنا فيكم رسولا) ذِكر الإرسال وإرادة الإتمام من إقامة السبب مقام المسبب ، وقُدِّمَ (فيكم) على المفعول الصريح تعجيلاً بإدخال المسرّة [٥١] ، والظرف الآخر وقع صفةً لِـ (رسولا) مبيّنةً لتمام النعمة ، فهو نعمة تستوجب المزيد من الشكر ، وقوله يتلوا عليكم آياتنا صفة ثانية لِـ (رسول) كاشفةٌ لكمال النعمة [٥٢] .

وتعليق الحرف (في) بالفعل (أرسلنا) ولم يعلَّقُ به غيره من الحروف ، لأنَّ هذا مقام امتنان فناسب أن يذكر ما به تمام المنّة وهي أن جعل رسولهم فيهم ومنهم ، ولا يخفى ما في الآية من جناس الاشتقاق بين (أرسلنا) و (رسولا). وفي الآية قُدِّمَت جملة (ويزكيكم) على جملة (ويعلمكم الكتاب والحكمة) عكس ما في حكاية قول إبراهيم (عليه السلام) : (يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) [٥٣] ، لأنَّ المقام هنا للامتنان على المسلمين فقدّم فيها ما يفيد معنى المنفعة الحاصلة من تلاوة الآيات عليهم وهي منفعة تزكية نفوسهم اهتماماً بها وبعثاً لهم بالحرص على تحصيل وسائلها وتعجيلاً للبشارة بها، أمّا في دعوة إبراهيم (عليه السلام) فقد رُتِّبت الجمل على حسب ترتيب حصول ما تضمّنتهُ في الخارج [٥٤]،وقوله (ويعلمكم الكتاب والحكمة) صفة أخرى مترتبة في الوجود وعلى التلاوة ، وإنَّما وسَّط بينهما التزكية للإيذان بأنَّ كُلاًّ من الأمور المترتبة نعمةٌ جليلة مستوجبة للشكر ، فلو روعي ترتيب الوجود ، لتبادر إلى الفهم كون لكل نعمة واحدة [٥٥] .

والحكمة هي ما يصدر عنه (ﷺ) من الأقوال والأفعال [٥٦] ، وهي التعاليم المانعة من الوقوع في الخطأ والفساد [٥٧] ، وهي مَلَكَة يتأتى معها وضع الأمور في مواضعها الصحيحة [٥٨] ، والحكمة هنا رمزٌ إلى أنه باعتبار كل عنوانٍ نعمةٌ لوحدها ، وما ذلك إلاّ لتفصيل فنون النِّعم في مقام يقتضيه [٥٩] وفي قوله (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) إطناب بذكر العام بعد الخاص لإفادة الشمول، وذلك بعد قوله (ويعلمكم الكتاب والحكمة)، وتكرار الفعل (يعلمكم) للدلالة على أنه جنس آخر غير مُشارك لِما قبله ، فهو تخصيص بعد تعميم، مُبيّن لكون إرساله(ﷺ) نعمة عظيمة ، وفي تكرار الفعل أيضاً إيحاءٌ بعظمة النعمة وعلوّ قدرها، وفي التكرار تذكير بما غمرهم الله من فضله ونعمه ، وهو تنبيه إلى أنه ما كان ينبغي لمن كرّمهم الله أن يلوّثوا أنفسهم بالمعاصي .

المطلب الثالث : نعمة النصر :

وهي نعمة جليلة بعد نعمة الحكمة والهداية ، فالمسلم حين يكون على نور وهداية تامة من ربِّهِ تكون التضحية في سبيل الله غايةً وهدفاً نبيلاً يسعى لأجله ، فالنصر متوقف على مقدار التضحية ،

والآيات في ذلك كثيرة ، نختار منها قوله تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون [٦٠] .

الابتداء في هذه الآية فيه تناسب مع النعم الإلهية ، لأنَّ معركة بدر هي أول نصرٍ لهم ، ففي الابتداء بأسلوب التوكيد المسبوق بالقسم دلالة على أهمية ذلك النصر ، وفيه إيحاءٌ بأهمية النعمة وعظمتها ، ففي قوله (ولقد نصركم ببدر) يذكر الله تعالى منّتهُ على المسلمين بهذا النصر ، ولمّا كانوا في عددٍ يسير، أشار إليه بجمع القلّة (وأنتم اذلة) [٦١] ، والمراد بها عدم العدّة لا الذل المعروف ، أو أن يكون المعنى وأنتم أذلة في أعين غيركم وإن كنتم أعزّة في أنفسكم [٦٢] . واسم الذل هنا مستعارٌ ، ولم يكونوا في أنفسهم إلاّ أعزة ، ولكن نسبتهم إلى عدوهم وإلى جميع الكفار في أقطار الأرض تقتضي عند التأمل ذلتهم وأنهم يغلبون ، وفي الكلام كناية أيضاً عن قلّة عددهم وعدتهم وما كان بهم من ضعف الحال، وفي إدماج الاستعارة بالكناية إظهار لعظمة الخالق وقدرته بنصر المستضعفين وأنه وليُّ المتقين . والأمر بالتقوى هنا فيه إشارة إلى أنها السبب لدوام النعمة ، والشكر فعل يُنبئ عن تعظيم المُنعِم ، والشكر صرف ما أنعم الله به في طاعته وحينئذٍ تكون التقوى من الشكر [٦٣] . وفيه ترتيب الأمر بالتقوى على الإخبار بالنصر إيذانٌ بأنَّ نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم، وفيه حثٌّ على الثبات مع الرسول(ﷺ). والفاء في (فاتقوا) للتفريع فإنه لمّا ذكّرهم بتلك المنّة ذكّرهم بأنها سبب للشكر فأمرهم بالشكر بملازمة التقوى تأدباً بنسبة قوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم)[٦٤]، ومن الشكر على ذلك النصر أن يثبتوا في قتال العدو ، وامتثال أمر النبي (ﷺ) [٦٥] . وقوله (فاتقوا الله) مجاز مُرسل من إطلاق اسم المُسبب على السبب ، والمعنى : خافوا الله ليحملكم الخوف على الطاعة على سبيل التجدد والاستمرار، واشكروه ليحملكم هذا الشكر على جميع الشكر [٦٦] ، وهكذا يقوم المجاز المرسل بعملية تصوير موحية تنتقل بالذهن إلى آفاق من المعرفة لا يحققها اللفظ على حقيقته، فضلاً عمّا حققه المجاز المرسل من الإيجاز ، لأنه يطوي السبب ويكتفي بالمسبَّب ، ويتضمن مع ذلك ناحيةً شكلية جمالية لا تخلو من فائدة، كما أنه يحقق التوسع في نطاق الفكر، فضلاً عن جمال الصياغة والأسلوب والتناسب في السِّياق .

المطلب الرابع : نعمة الصبر:

الصبر نعمة فضيلة لمن يمتلكه ، وهو سببٌ للكثير من النِّعَم ، ولعظمته وردت الكثير من الآيات تُبيِّن منزلة الصابرين وأجرهم ، وتحث على التحلّي به ، نختار منها قوله تعالى : (وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا أنّا لله وأنّا اليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) [٦٧] .

الخطاب هنا عامٌ للرسول (ﷺ) ولأمته من الصابرين على البلاء ، والمعنى : بشّرهم بالثواب على الصبر [٦٨] . وليست البُشارة هنا لمن يقولون بألسنتهم هذا القول مع الجزع وعدم الرِّضا بالقضاء والقدر ، وإنّما هي بُشارة موجّهة إلى من يتلقى المصائب بالسكينة والتسليم لقضاء الله لأول حلولها ، ، فقوله : (الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا ...) يدلّ على أنّهم يقولون ذلك وقت الإصابة [٦٩] ، كما أنَّ التبشير بأسلوب الأمر فيه إيحاءٌ إلى عظمة النعمة وأهميتها ، فالصبر إذن هو عند الصدمة الأولى " أي عند هجوم المصيبة ومرارتها " [٧٠] ، يقولون ذلك محتسبين الأجر عند الله، فهؤلاء الذين لهم من ربهم مغفرةٌ ورحمةٌ يجدون أثرها في برد القلوب وسكينة النفس عند نزول المصيبة [٧١] . وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان، بل بالقلب بأن يتصور ما خُلِقَ له وأنه راجعٌ إلى ربِّهِ ، ويتذكّر نعم الله عليه ، ويرى أنَّ ما أبقى عليه أضعاف ما أستردَّ منه فيهونُ ذلك على نفسه ويستسلم ، والمبشَّر به محذوف دلَّ عليه ما بعده [٧٢]، فالبشارة عامة وسبب الحذف هو الإيجاز ، وقد حَسُنَ ذلك لتمكنه من الفصاحة ، وذلك لأنَّ " الإيجاز الذي لا يُخلّ بمعاني الكلام هو اللائق بالفصاحة والبلاغة " [٧٣] ، والتوكيد في (أنّا لله وأنّا اليه راجعون) جاء لأنَّ المقام مقام اهتمام ، ولأنّهُ ينزل المصاب فيه منزلة المُنكِر ، كونه مِلكاً لله تعالى وعبداً لهُ ، إذ تُنسيه المصيبة ذلك ، ويحول هولها بينَهُ وبين رُشدِهِ ، واللام فيه للمُلك [٧٤] . وفي مجئ التوكيد الثاني (أنّا) مع العطف على التوكيد الأول ، فيه مزيدُ اهتمام بهذا المقام ، ولا شكَّ في أنَّ " لِطُرق التوكيد دورها في تقوية المعاني ورعاية الانسجام مع المواقف التي تقتضي ذلك في الأسلوب القرآني لغرض الاقتناع والبيان " [٧٥] ، وخُتم

القول ببيان جزاء المُبَشَّرين بالإجمال ، فقال (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة و أولئك هم المهتدون) إذ يبرزُ هُنا الإطناب بإيحائه اللطيف ، فبعد أن بيَّنَ صفات الصابرين من قبل ، ذكره هنا بالإجمال على سبيل الإيضاح والتفصيل ، وبهذا يتبيَّن أنَّ " علاقة الإجمال والتفصيل ضمن العلاقات الخطابية التي تربط بين الآيات هي من ضمن أوجه المناسبة " [٧٦]، فهي تأتي من إيجاد التواصل السياقي وتدعيم الروابط بين الجُمل " [٧٧] ، فالزيادة لم تأتِ عبثاً ، فأداء الكلام على هذه الوجهة تزيدُ قيمة الكلام وترفع من معانيه .

والإتيان باسم الإشارة في قوله (أولئك عليهم) للتنبيه على أنَّ المُشار إليه هو ذلك الموصوف بجميع الصفات ، وأنَّ الحُكم الذي يَرُد بعد اسم الإشارة مرتبٌ على تلك الأوصاف ، وهذا بيانٌ لجزاء صبرهم ، ومعنى البُعد فيه للإيذان بعلو رُتبتهم ومنزلتهم بين الناس [٧٨] ، والتنكير في (صلوات) فيه دلالة على كثرة الرحمة والمغفرة الحاصلة للصابرين ، كما أفاد التنكير التنويع والتعظيم ، وفي مجيئه بصيغة الجمع إشارة إلى تعدد أصناف الرحمة والمغفرة ، وكل ذلك فيه إيحاءٌ إلى تعدد النعم الإلهية ، والتنوين في (صلوات) وكذا العطف عليها للتفخيم ، والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لإظهار مزيد العناية بهم[٧٩].والصلوات هنا مجاز في التزكيات والمغفرات، ولذلك عُطِفَتْ عليها الرحمة التي هي من معاني الصلاة (مجازاً) [٨٠] ، فجمال الإعجاز البلاغي يظهر" عندما يُشعر المجازُ بالحقيقة "[٨١]، إذ لابُدَّ من علاقة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي " فالاجتياز والتخطيّ والانتقال هو وجه المناسبة ما بين المعنيين " [٨٢] . وتقديم (من ربهم) على (الرحمة) فيه إشارة إلى عظمة منزلة الصابرين ، وأنهم في محل العناية الإلهية ، وفي عطف الرحمة على الصلوات فيه مزيد تكرمةٍ لهم ، والتكرير لاسم الإشارة (أولئك) لإظهار كمال العناية بهم ، وجملة (وأولئك هم المهتدون) اعتراضٌ مقرِّرٌ لمضمون ما قبله ، كأنه قيل : وأولئك هم المختصّون بالاهتداء [٨٣]، أي إلى ما ينبغي عمله في أوقات المصائب والشدائد ، فيكونون الفائزين ، كما تدل عليه الجملة الأسمية المعرّفة الطرفين المؤكَّدة بضمير الفصل ، لإفادة الحصر مع الثبوت ، والقصر في

قوله (هم المهتدون) من قصر الموصوف على الصفة ، أي لا مهتدي غيرهم ، والتعريف في (المهتدون) أفاد الاختصاص ، ومن أوجه البلاغة في نظم الآية (الفاصلة) بين (الصابرين – راجعون – المهتدون) ، " فالفاصلة القرآنية بهذا التناسق حقق ضرباً من التنويع الموسيقي المشوّق لسماع الكلام " [٨٤] ، ذلك أنّ الفاصلة القرآنية تَرِدُ وهي تحمل شحنتين في آنٍ واحد ، شحنة من الواقع الموسيقي ، وشحنة من المعنى المتمم للآية [٨٥] ، ومن جماليات النَّظُم في هذه الفواصل مجئ كل منها بصيغة اسم الفاعل مما دلَّ على استمرار فاعله وثبوته .

الخاتمــة

الحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على أشرف الكائنات سيّدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً .

بعد جولة مباركة في رِحاب النِّعَم الإلهية الدنيوية في الزهراوين ، لابُدَّ أن نُسجّل قطوفها من نتائج توصل البحث إليها ، نذكر منها :

- أظهر البحث أنَّ آدم (عليه السلام) انفرد عن غيره من الأنبياء عليهم السلام والناس أجمع بنعمة خاصة بعد إيجاده من العدم ، وهي نعمة سجود الملائكة له ، وبيّن أنَّ السجود كان تحيةً وإكراماً له وليس المقصود منه سجود عبادة ، فضلاً عن انفراده بنعم خاصة أخرى منها تعليمه أسماء المسميات ونعمة سكن الجنة .
- أظهر البحث خصوصية النعمة الإلهية للنبي الأكرم محمد (ﷺ) بإنزال أعظم كتاب له وهو القرآن الكريم ، وبيّن علوّ شأنه بين الأنبياء والرسل .
- بدا للبحث أنَّ النعم الإلهية على مريم (عليها السلام) جاءت في سورة آل عمران وغيرها من السور كسورة مريم وبيّن البحث أنّ الله قد خصَّها بنعم وكرامات لم يخص أحداً من النساء بها، منها تقبلها مكان الذكر رفعةً لِشأنها ، وإنزال الطعام لها حتى ليتعجب كافلها زكريا (عليه السلام) من فيض الرزق ويسألها من أين لك هذا ...

- أظهر البحث أنَّ النعم الإلهية على بني إسرائيل كانت كثيرة من بين النعم الإلهية المذكورة في الزهراوين وأغلب آياتها كان ورودها في سورة البقرة ، وقد انفرد بنو إسرائيل بنعم خاصة كثيرة منها نعمة فلق البحر لموسى (عليه السلام) ومن معه ، وغيرها .
- تضمن التحليل البلاغي للآيات فنوناً بلاغية كثيرة كانت مفاتيح لاستكشاف البلاغة القرآنية وإعجازها في الآيات التي تناولت النعم ، ومن أهم هذه الفنون (الالتفات . الخبر . التنكير- التعريف بالإضافة . التوكيد . التقديم والتأخير. التخصيص . الاستفهام . الكناية . الوصل . الطباق . الاكتفاء . الجِناس . التعريض . المجاز العقلي . الإدماج . الاستعارة . الاحتباك . التفصيل بعد الإجمال . التشبيه . المجاز المرسل) .
- بيّن البحث أنّ الله بسط الأرض لعباده من أجل منفعتهم بجعلها وطاءً يستقرون عليها ، وكيف أحاط السماء بالسقف بجعلها كالقبة ووصفها بالبِناء ، وكيف أنزل من السماء ماءً أخرج به رزقاً للعباد ....
- أكّد البحث على أنّ نعمة الحكمة من النعم الجليلة ، وأنَّ من أُوتي هذه النعمة فقد أُوتي خيراً كثيراً ، كما أكّد أنّ النصر الذي تحقق للمسلمين هو نعمة من الله تعالى، كما أنَّ الصبر من أجلّ النعم الإلهية على الإنسان وأنَّ المعيّة الخاصة (إن الله مع الصابرين) فيها أعظم ترغيب للعباد إلى لزوم الصبر . وأنّ البشارة بالصبر لا تتحقق إلاّ بالصبر عند الصدمة الأولى .
- أظهر البحث شيئاً من دقة الخطاب القرآني في اختيار ألفاظه التي تؤدي المعنى المُراد ، فضلاً عن الانسجام بين هذه الألفاظ والتراكيب من الناحية المعنوية والصوتية ، من ذلك ما ذكر في الصفحات (٤ ، ٦ ، ١٠ ، ١٣).
- أثبت البحث أن الفنون البلاغية وحدة متماسكة مترابطة أحدهُما يُكمّل الآخر في إبراز القصد وإيصال الفكرة إلى المتلقي .
- أظهر البحث سِرَّ التعبير ببعض الفنون البلاغية وفائدتها وأنها لم تكن في السياق القرآني مجرّد إثراء لفنية التعبير ، وإنما كانت لهذه الفنون ضرورة يتطلبها الموقف والمعنى المُراد .

المصادر والمراجع

أولاً ـ الكتب المطبوعة :

١ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود العمادي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، إشراف : محمد عبد اللطيف ، (د . ت) .

٢ ـ أساليب التوكيد في القرآن الكريم : كاظم فتحي الراوي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٧٦ م .

٣ ـ أسرار البيان في التعبير القرآني : د . فاضل السامرائي، بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٧ م .

٤ ـ إعراب القرآن وبيانه : محيي الدين أحمد مصطفى درويش ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ، حمص ، سورية ، ط ٤ ، ٢٠٠١ م .

٥ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ (تفسير البيضاوي) : ناصر الدين بن محمد البيضاوي ، دار الجيل ، المطبعة العثمانية ، (د . ت) .

٦ ـ البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : كمال الدين بن عبد الكريم الزملكاوي ، تحقيق : د . خديجة الحديثي ، و د . أحمد مطلوب ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٧٤ م .

٧ ـ التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ـ تونس ، ١٩٨٤ م .

٨ ـ التعبير الفني في القرآن : د . بكري شيخ أمين ، دار الشرق ، القاهرة ، ط ٣، ١٩٧٩ م .

٩ ـ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : فخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، طهران ، ط ٢ ، (د . ت) .

١٠ ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : د . وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط ٢ ، (د . ت) .

١١ ـ التفسير الوسيط : د . وهبة بن مصطفى الزجيلي ، دار الفكر، دمشق ، ط ١ ، (د . ت) .

١٢ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

١٣ ـ الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة : محمود صافي ، انتشارات مدين ، مطبعة النهضة ـ قم ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .

١٤ ـ جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د . ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر، العراق ،وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٠ م .

١٥ . دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني : د . محمد ياس خضر الدوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
١٦ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين الآلوسي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ، (د . ت) .
١٧ . صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني ، المكتبة العصرية ، بيروت . لبنان ، ٢٠٠٩ م .
١٨ . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة العلوي ، مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩١٤ م .
١٩ . فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) : محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (د . م) ، (د . ت) .
٢٠ . فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأوةلاده ، مصر، ط ٢ ، ١٩٧٢ م .
٢١ . فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : د . رجاء عيد ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٧٩ م .
٢٢ . فن البلاغة : د . عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
٢٣ . في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٧ ، ١٩٧١ م .
٢٤ . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : جار الله بن عمر الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، ١٩٤٧ م .
٢٥ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير ، قدّمه وحقه وعلّق عليه : د . أحمد الحوفي ، و د . بدوي طبانة ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٠ م .
٢٦ . مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى ، عارضه بأصوله وعلّق عليه : د . فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٧٠ م .
٢٧ . معالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي):أبو محمد بن الفرّاء البغوي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، (د . ت) .
٢٨ . المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، راجعه وقدّم له : وائل أحمد عبد الرحمن ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د . ت) .
٢٩ . ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتأويل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل : أبو جعفر بن الزبير الغرناطي ، تحقيق : عبد الغني محمد علي الفاسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
٣٠ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسُور : برهان الدين بن عمر البقاعي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٩٦٩ م

ثانياً ـ الرسائل والأطاريح الجامعية :

١ . الإطناب في القرآن الكريم (أنماطه ودلالاته) : باسل خلف حمود ، رسالة ماجستير ، كلية التربية . جامعة الموصل ، ١٩٩٩ م بأشراف د.عماد عبد يحيى.

٢ . الخطاب الإلهي للنبي (ﷺ) في السُّور المدنية (مضامينه وأساليبه البلاغية): عمر خليل حمدون الهاشمي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب . جامعة الموصل ، ٢٠٠٥ م بأشراف د. احمد فتحي رمضان .

٣ . دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة (دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة) : زهراء خالد سعد الله العبيدي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة الموصل ، ٢٠٠٧ م بأشراف د. طلال يحيى ابراهيم الطوبجي

٤ . المجاز المرسل في القرآن الكريم (أنماطه ودلالاته) : ياسر محمد أمين ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب . جامعة الموصل ، ٢٠٠١ م بأشراف د. احمد فتحي رمضان .

ثالثاً ـ البحوث المنشورة :

١ . الجرس والإيقاع في التعبير القرآني : د . كاصد ياسر الزيدي ، مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل ، عدد (٩) ، ١٩٧٨ م .

الهوامش

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ١ / ٣٩٥ .

(٣) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الاثير : ٢ / ١٨٩ .

(٤) ينظر : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، كمال الدين الزملكاوي : ١٤٠ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ١ / ٤٠٠ .

(٢) ينظر : معاني الابنية ، فاضل السامرائي : ٤٧

(٣) إعراب القرآن وبيانه ، محي الدين درويش : ١ / ٧٨ .

(٤) ينظر : الجدول في إعراب القرآن ، محمود صافي : ١ / ٩٤ .

(٥) ينظر : مجاز القرآن ، ابو عبيدة : ١ / ٨ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ١ / ٤٠٢ .

(٧) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي : ٤٨ .

(٨) ينظر : روح المعاني ، الآلوسي : ١ / ٢٥٧ .

(٩) ينظر : التحرير والتنوير : ١ / ٤٠٣ .
(١٠) ينظر : روح المعاني : ١ / ٢٥٨ .
(١١) ينظر : التحرير والتنوير : ١ / ٤٠٥ . ٤٠٦ .
(١٢) بنظر : المصدر نفسه : الجزء والصفحة نفسها .
(١٣) بنظر : التحرير والتنوير : ١ / ٤٠٦ .
(١٤) سورة آل عمران ، الآيتان : ٣ . ٤ .
(١٥) روح المعاني : ١ / ٤١٢ .
(١٦) ينظر : إرشاد العقل السليم ، ابو السعود العمادي : ١ / ٣٤٨ .
(١٧) ينظر : التحرير والتنوير : ٣ / ٦٤٧ .
(١٨) ينظر : المصدر نفسه : ٣ / ١٤٨ .
(١٩) ينظر : المصدر نفسه : الجزء والصفحة نفسها .
(٢٠) ينظر : التفسير المنير : ٣ / ١٤٤ ؛ وصفوة التفاسير : ١ / ١٥٨ .
(٢١) ينظر : الخطاب الإلهي للنبي (ﷺ) في السُور المدنية : عمر خليل حمدون ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب . جامعة الموصل ، ٢٠٠٥ م .
(٢٢) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١ / ٣٤٨ .
(٢٣) ينظر : ملاك التأويل ، الغرناطي : ١ / ٧٦ .
(٢٤) ينظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، الرازي : ٤ / ٩٩ .
(٢٥) ينظر : صفوة التفاسير ، الصابوني : ١ / ١٥٨ .
(٢٦) ينظر : معالم التنزيل ، البغوي : ١ / ٤٠٨ .
(٢٧) سورة آل عمران ، الآية : ١ .
(٢٨) ينظر : التحرير والتنوير : ٣ / ١٠٥ .
(٢٩) ينظر : نظم الدرر ، برهان الدين البقاعي : ١ / ٤٧٩ .
(٣٠) سورة آل عمران ، الآية : ٣٧ .
(٣١) ينظر : فقه اللغة وسر العربية ، ابو منصور الثعالبي : ٥٥٢ .
(٣٢) ينظر : المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني : ٣٩١ .

(٣٣) الكشاف : ١ / ٢٧١ .
(٣٤) ينظر : دقائق الفروق اللغوية ، محمد ياس خضر الدوري : ٢١٩ .
(٣٥) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١ / ٣٨٠ .
(٣٦) ينظر : الجدول في إعراب القرآن : ٣ / ١٤٨ .
(٣٧) ينظر : نظم الدرر : ٢٠ / ٤٤٤ .
(٣٨) ينظر : اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل الحنبلي : ٥ / ١٨١ .
(٣٩) أسرار البيان في التعبير القرآني ، فاضل السامرائي : ١١٢ .
(٤٠) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : ٣١٠ .
* تضمنت الزهراوان كثيراً من الآيات التي ذكرت النعم على بني اسرائيل ومنها في سورة البقرة (٤٠ / ٤٧ /٤٩/٥٠/٥٢/٥٧/وغيرها) ولكن البحث اعتمد مبدأ الانتقاء
(٤١) سورة البقرة ، الآية : ٥٠ .
(٤٢) اللباب في علوم الكتاب : ٢ / ٦٢ .
(٤٣) ينظر : روح المعاني : ١ / ٣٠٩ .
(٤٤) روح المعاني : ١ / ٣١٠ .
(٤٥) ينظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ٢ / ٩٩ .
(٤٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٢ .
(٤٧) ينظر : فتح القدير ، الشوكاني : ١ / ٤٧ .
(٤٨) ينظر : فن البلاغة ، عبدالقادر حسين : ٩٧ .
(٤٩) سورة البقرة ، الآية : ١٥١ .
(٥٠) ينظر : التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي : ٢٣٧ .
(٥١) ينظر : روح المعاني : ٢ / ٦١ .
(٥٢) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١ / ٢٢٥ .
(٥٣) سورة البقرة ، من الآية : ١٢٩ .
(٥٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٢ / ٤٩ .
(٥٥) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١ / ٢٢٥ .

(٥٦) ينظر : التفسير الوسيط : ٢٣٧ .
(٥٧) ينظر : التحرير والتنوير : ٢ / ٤٨ .
(٥٨) ينظر : في ظلال القرآن : ١ / ١٠٩ .
(٥٩) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١ / ٢٢٥ .
(٦٠) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٣ .
(٦١) ينظر : نظم الدرر : ٢ / ١٠٧ .
(٦٢) ينظر : روح المعاني : ٣ / ١٩٥ .
(٦٣) ينظر : نظم الدرر : ٢ / ١٠٨ .
(٦٤) سورة إبراهيم : من الآية : ٧ .
(٦٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٤ / ٧٢ .
(٦٦) ينظر : نظم الدرر : ٢ / ١٠٩ .
(٦٧) سورة البقرة ، الآيات : ١٥٥ . ١٥٧ .
(٦٨) ينظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ٢ / ٤٥٠ ؛ والتحرير و التنوير : ٢ / ٥٦ .
(٦٩) ينظر : التفسير الوسيط : ٢٤٥ .
(٧٠) اللّباب في علوم الكتاب : ٢ / ٢١٢ .
(٧١) ينظر : التفسير المنير ، وهبة الزحيلي : ٢ / ٤١ .
(٧٢) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١ / ٢٢٧ ؛ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ،البيضاوي : ١ / ١٩٢ . ١٩٣ .
(٧٣) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، العلوي : ٢ / ٨٩ . ٩٠ .
(٧٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٢ / ٥٧ .
(٧٥) أساليب التوكيد في القرآن الكريم : ١٥ .
(٧٦) دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة . دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة : زهراء خالد سعد الله العبيدي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب . جامعة الموصل ، ٢٠٠٧ م : ١٠٠ .
(٧٧) ينظر : الإطناب في القرآن الكريم (أنماطه ودلالاته) : باسل خلف حمود ، رسالة ماجستير ، كلية التربية . جامعة الموصل ، ١٩٩٩ م : ٣٣ .
(٧٨) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١ ، ٢٢٧ ؛ والتحرير والتنوير : ٢ / ٥٧ .

(٧٩) ينظر : روح المعاني : ٢ / ٧٠ .

(٨٠) ينظر : التحرير والتنوير : ٢ / ٥٧ .

(٨١) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، رجاء عيد : ٧٥ .

(٨٢) المُجاز المُرسل في القرآن الكريم (أنماطه ودلالاته) : ياسر محمد أمين ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب . جامعة الموصل ، ٢٠٠١ م : ٧ .

(٨٣) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١ / ٢٢٧ .

(٨٤) الجرس والإيقاع في التعبير القرآني ، كاصد الزيدي : ٣٥٣ .

(٨٥) ينظر : التعبير الفني في القرآن ، بكري شيخ امين : ٢٠٣ .